عنف وقتل وغضب... ويبقى الأمل

شاهد بامتياز على الحرب الأهلية التي عصفت بالجزائر خلال تسعينات القرن الماضي. استطاع ميخائيل فون غرافنريد أن يلتقط مئات الصور التي توثق شتى أشكال العنف الممارس من قبل أطراف النزاع. ولكن أيضا. بريق الأمل. وإن كان صغيرا وسط حالة من الغضب العارم.

كريستي أبو فرح
christyaboufarah@albaladonline.com

10 سنوات (1991 ـ 2000) زار خلالها المصور السويسري ميخائيل فون غرافنريد مرات عدة البلد الذي يحترق على أيدي أبنائه، فكانت عدسته شاهدة "متخفية" على المذابح وعمليات الإعدام والتعذيب.

عدسته شاهدة متخفية على المذابح

وهو يعرض مجموعة من هذه الصور في هنغار "أمم" في الضاحية الجنوبية، تحت عنوان "الجزائر: صور عن حرب بلا شواهد".

حوار

يأتي المعرض ضمن مشروع "ما العمل؟ لبنان وذاكرته حمالة الحروب" الذي تنظمه "أمم للتوثيق والأبحاث" لمناسبة ذكرى الحرب اللبنانية في 13 الجاري والذي يرمي إلى معالجة موضوعين رئيسيين: المفقودين اللبنانيين والفلسطينيين والمسؤولية عن عمليات القتل التي تمّت خلال الحرب، وذلك بفتح المجال أمام الحوار الجدي. هو نوع من تنشيط الذاكرة في ورش عمل تنظم بالتعاون مع هيئات المجتمع المدني. وقد رأى المنظمون أنه رغم صعوبة المقارنة بين الحربين الأهليتين الجزائرية واللبنانية، فإن "هذه المقاربة لمشهد العنف الجزائري لن تخلو من تذكير اللبنانيين بأشياء وأشياء من ماضيهم القريب ومن مغامرات العنف الأهلي التي ولجوا فيها".

■ المصوّر فون غرافنريد وإحدى مسروقاته

أحمد عيتاني

تركيبة

المجتمع الجزائري كما يبدو من خلال المعرض مجتمع متعدد ومتناقض، يختلط فيه التشادور والتنانير القصيرة، التجديد والتقليد والسياسة والدين... مجتمع يترنّح بين انتمائه العربي وتعلقه بأنماط الحياة الغربية نتيجة الحقبة الإستعمارية. وربما رأى الفنان أنه لا بدّ له والحالة هذه من أن يلعب على التناقضات، فصوره تشكل إطاراً بانورامياً شاملا بالأبيض والأسود لمرحلة مظلمة من تاريخ شعب غرق على غفلة منه في دوامة العنف والإرهاب. وعندما نقول "إطاراً شاملًا"، إنما نقصد أنّ المصور لم يكتف بالتأريخ للحرب من خلال صور تمثل لحظة وقوعها، مثل تلك التي تظهر الجيش الجزائري يقصف معقلًا للإسلاميين في منطقة المدية، بل هو عمد إلى عرض تفاصيل من حياة الناس اليومية، كصورة نساء يرقصن في حفلة.

سرقة

التناقضات والمفارقات كثيرة في بلد كجزائر التسعينات، حيث التدين إلى حدّ التطرف من جهة والنزعة إلى الليبرالية من جهة أخرى... فهنا صورة لرجل يؤكد على أنّ الإرهاب بنظره هو "النساء نصف العاريات" تقابلها صورة لنساء يستمتعن بالشمس على شاطئ البحر...

لقد "سرق" فون غرافنريد صوره من دون علم أصحابها. هل يحق له ذلك؟ قد يكون الجواب لا، إلا أنّه عاد في ما بعد، وبحث عن أولئك الأشخاص، وقدم لهم الصور، كما عمل على إنجاز وثائقي من تسعين دقيقة مع المخرج الجزائري محمد السوداني يحمل اسم مجموعته الفوتوغرافية، ويروي كيف عاد المصوّر والتقى "ابطال" صوره الذين تحدثوا، بصعوبة بالغة أحياناً، عن تجربتهم خلال الحرب (يعرض هذا الوثائقي على هامش المعرض في الهنغار).

■ يستمر المعرض إلى 20 الجاري، يومياً بين الرابعة عصراً والتاسعة مساء.

سرق الفنان صوره من دون علم أصحابها

■ إطار شبه شامل

ولد ميخائيل فون غرافنريد في سويسرا العام 1957. بدأ العمل في مجال التصوير العام 1978 وسرعان ما نشرت صوره في مجلات وصحف دولية كبرى. أقام معارض وألف كتبا عدة. وتعرض متاحف عدة مجموعة من صوره.